الأبعاد الأخلاقية في الآيات التي قيلت على لسان المرأة

الباحثة

رشا عبد برّاك بشّان

Abr670770@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور

لواء حميزة كاظم العياشي

lewaah.al-aeshea@uokufa.edu.iq

جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

The moral dimensions in the verses spoken by women

Researcher

Rasha Abd Barrak Bashan

Assist. Prof. Dr.

Lewa'a HmaizaKadhim al-Ayashi

University of Kufa - Faculty of Jurisprudence

الملخص:-

المراد بالأبعاد الأخلاقية، هنا هو الأبعاد المتسمة بالآداب والباعثة على الخلق الرفيع في التعامل والتفاعل مع الآخرين، وقد تم دراستها في هذا البحث، من سياق الآيات الحاكية عن لسان بعض النسوة في مواقف مختلفة ومشاهد متعددة، تحمل في طياتها فكرة مفعمة بالعطاء والبهاء، عندما يتدبرها المتلقي تضخ في نفسه نوعا من المعرفة وزيادة في الوعي؛ مما تسهل عليه التواصل مع اقرانه في المجتمع، وتبعث روح المنافسة الحرة الشريفة في السمو والرفعة؛ من خلال التحلي بالأخلاق الكريمة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الأبعاد الاخلاقية، الآيات القرآنية، لسان المرأة، الحياء، المكر.

Abstract:-

By moral dimensions, we mean here, the dimensions characterize by morals that give rise to high moral character in dealing and interacting with others. As, the researcher reached it through the context of the verses spoken by women in various attitudes and multiple scenes. They carry with them an idea full of giving and splendor. When the recipient ponders it, it injects a kind of knowledge into himself and an increase in awareness; which makes it easier for him to communicate with his peers in society, and inspires the spirit of free and honorable competition in loftiness and elevation. It is with high morals.

Keywords: dimensions, morals, modesty, cunning.

المقدمة:ـ

من الأمور المهمة التي أكد عليها الله تعالى في القرآن الكريم مسألة الأخلاق؛ لذلك سنتعرض في هذه الدراسة مفردة (الأخلاق)، الواردة ضمنا في الآيات التي قيلت على لسان المرأة برزت هذه الأخلاق في أفعال النسوة، فسجلها القرآن الكريم لتكون منارة يستضيء بها الإنسان، فكان اختيار الاسم اللائق والجيد للطفل من هذه الأخلاق السامية، وجاء بعده الحياء الذي يعد رمزاً من رموز الأنوثة، وأخيرا الابتعاد عن الغيبة التي نهى عنها القرآن الكريم بشكل صريح وواضح، وفي هذه الدراسة تعرضنا إلى السلوك الذي اتبعته نسوة مصر للإطاحة بعزيزة مصر(زليخا).

أولا: بُعد اختيار الاسم اللائق للابن

أول ما يرافقنا منذ ولادتنا هو الاسم الذي يمنحه لنا أهلنا، فهو الرمز اللفظي الدال على الشخص، وله وقعٌ خاصُ في نفس هذا الشخص، ويعد مصدر الفرح والاعتزاز له، كما يعطي الاسم نوعاً من التأثير أو الانطباع الحسن أو السيئ عن الشخص الحامل له، فإذا كان جميلاً ذا معنى طيب، فإنه يؤثر على سلوك هذه النفس تأثيراً حسناً، أما اذا كان مصدر الاسم يتسم بالحزن والكدر، فإنه مقدمة لمشاكل سلوكية ونفسية، لاسيما إذا كان قبيحاً، ومنفراً، كما تدل بعض الإشارات قديماً وحديثا، ((وللفظ الاسم تأثير كبير في قبوله اجتماعياً، فمثلا الاسم الذي ينساب بسهولة حين النطق به يترك مباشرة شعوراً لدى الآخرين أن صاحب الاسم سهل العشرة وودود، والعكس تماماً ينطبق على الاسم الثقيل في اللفظ، الذي يمنح شعوراً بالنفور في اللقاء الأول))[١]، فحسن اختيار الاسم يحقق ((بعض الضوابط التي تحفظ توازن السلوك الإنساني في العلاقات الاجتماعية، التي يُراد بها إيجاد حالة من الاستقرار النفسي والعلمي الذي يفتح للمجتمع باب السلام، ويحقق له الثبات على قاعدة العدل واحترام إنسانيته))[٢].

فالاسم يلازم الإنسان حيّاً وميتا، ولذا كانت العناية باختيار الاسم منبعثة من أهميته، ويظل أيضاً متسمياً به حتى في عالمه الآخر ويؤكد هذا ما وردَ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة، قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك))[٣]، فأوجب الإسلام استحسان

أسماء الأطفال، وأنْ تكون الأسماء ذات معنى حَسنْ، إذ قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: ((أن للولد على الوالد حقا؛ وللوالد على الولد حقا؛ فحق الوالد على الولد أن يطعه في كل شيء ألا في معصية الله سبحانه، وحق الولد على الوالد أن يحسن أسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن))[٤]، ويؤكد ما تقدم ما روي عن أبي الحسن عليه السلام قال: أول ما يبر الرجل ولده أن يسميه باسم حسن، فليحسن أحدكم اسم ولده [٥]، وهذا ما فعلته السيدة حنة ام السيدة مريم عليها السلام حين وضعتها ووجدتها أنثى إذ اختارت اسماً ذات معنى يليق بها كأنثى وسيدة نساء زمانها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران:٣٦)، أن ظاهر النص القرآني يدل على أن عمران كان قد مات في حال حمل حنة بمريم عليها السلام، فلذلك تولت الأم تسميتها؛ لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء[٦]، كما يفهم من النّص اشتياق هذه السيدة الطاهرة، والأُم الحنون لوقف وليدها على خدمة الله تبارك اسمه؛ إذ طلبت منه تعالى، بعد أن أسمت وليدتها بالاسم اللائق والمحبب إلى قلبها، أن يحفظها ونسلها من الشيطان اللعين الرجيم، وأنْ يرعَهم بِحمايته ولُطفه[٧]، ومعنى اسم مريم كما أوردها المفسرون هو(العابدة أو الخادمة)[٨]، ثم ((أعاذتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم؛ ليستقيم لها العبادة والخدمة ويطابق اسمها المسمى))[٩]، مما يدل تأثير الاسم على شخصية الانسان الحامل له، إذ ((أجمعت الأبحاث الحديثة على أن الأسماء يمكن أن تؤثر في اختيار المهنة، والمكان الذي نعيش فيه، ومن نتزوج والدرجات الاجتماعية التي نرتقيها، ويمكن لأسمائنا تحديد ما إذا كنا سنقدم أموالاً لضحايا الكوارث، أي إلى هذه الدرجة يمكن للأسماء أن ترسم حياتنا))[١٠]، وهذا ما اعتمدته السيدة حنة حين اختارت اسم العابدة؛ لكي يؤثر هذا الاسم على شخص السيدة مريم عليها السلام وتكون حياتها عبارة عن عبادة وخضوع لله تبارك وتعالى.

أما سبب ذكر تسميتها في القرآن يقول السيد الطباطبائي معللا ذلك؛ ((ووجه ذكره تعالى لتسميتها بذلك فإنها لما أيست من كون الولد ذكرا محررا للعبادة و خدمة الكنيسة بادرت إلى هذه التسمية وأعدتها بالتسمية للعبادة و الخدمة))[١١]، أما الزمخشري يعلل ذلك الى طلب عصمة السيد مريم عليها السلام قائلاً: ((؛لأنّ مريم في لُغَتهم بمعنى العابِدَة؛ فأرادت

بذلك التقريب، والطَلَب إليه أَنْ يَعصِمَهَا، حتى يكون فعلها مطابقاً لأسمها، وأنْ يُصَدّق فيها ظنها بها، ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه))[١٢].

وهذا البعد الفكري لم يرد صريحاً في الآية الكريمة وإنما جاء ضمناً استنتجناه من خلال فهم معنى اسم (مريم) الوارد في الآية الكريمة الذي يعني العابدة الخادمة، وحرص إمها على نشأتها حيث أعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم، ومن هذا المقام لابد من الاشارة الى استحباب تسمية المولود بأسماء ترمز الى الخضوع التام لله سبحانه وإظهار العبودية له وحده سبحانه وتعالى، فقد ورد في الكافي الشريف ما يشير الى ذلك، ((عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن أبي إسحاق ثعلبة بن ميمون، عن رجل قد سماه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أصدق الاسماء ما سمي بالعبودية وأفضلها أسماء الأنبياء))[١٣].

مما تقدم يتبين لنا اخلاص السيدة حنة لله تعالى؛ ولإخلاصها هذا تقبل الله مولودتها بقبول حسن، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (ال عمران:٣٧)،عقب السيد على هذا النص بقوله: ((فتقبلها ربها بقبول حَسنْ، قبولاً لقولها (وإني سميتها مريم)، وقوله: (أنبَتَهَا نَبَاتاً حَسْناً)، قبولاً وإجابةً لَقَولها (وإني أعيذُها بك مِنْ الشَيّطان الرَّجيم)، فالمُرّاد بتَقَبُلها بِقَبُول حَسنْ ليس هُوَ القَبُول بمعنى قَبُول تَقَرُبْ امرأة عمران بالنَذر، وإعطاء الثواب الأخروي لعَمَلها، فإنّ القبول إنّما نُسب إلى مريم، لا النَذر، وهو ظَاهر، بَل قَبُول البِنْتَ بِما إنّها مُسمّاة مريم، ومُحررة، فيعُود معناهُ إلى اصطِفائها، ومعنى الاصطِفاء هو التَسليم التَام لله سُبحَانه))[١٤].

مما تقدم يتضح بأن السيدة حنة تمتعت بخلفية علمية ثقافية؛ يظهر ذلك بأدبها في حديثها وطلبها من الله سبحانه فيما يتعلق بحملها الذي ظنت إنه ذكر وبنت إذ وضعت الخطط وعلقت الآمال عليه وفي الأخير تبين إنه انثي لم تنكر ذلك وفي اللحظة ذاتها حولت الآمال الى هذه الأنثى وأول خطوة قامت بها تكمن في اختيارها لأسم هذه الانثى حين قالت (سميتها مريم)، فالاسم هنا فيه الكثير من الإشارات التي توحي الى ثقافة هذه المرأة، أولها، إنها اختارت اسماً سهل النطق وسلس مما يؤثر في نفس السامع له ويجذب انتباهه، فضلاً عن إنّ الاسم لائق بالسيدة مريم عليها السلام، ويرمز الى أنوثة السيدة عليها السلام، والإشارة

الاعظم الى ثقافتها هي كون هذا الاسم يدل على العبودية، واستحباب تسمي الاولاد بأسماء العبودية لأنها تظهر خضوع واستسلام الانسان لله تعالى، كما إنها تؤثر على شخصه تأثير ايجابي وهذا ما نوه به النبي محمد ﷺ وأهل بيته الكرام البررة عليهم السلام.

ثانيا: بُعد الحياء

يعد الحياء من شعب الإيمان المتصلة اتصالاً وثيقاً بالقيم الأخلاقية، إذ يكّمل كلٌّ منهما الآخر، ومن إمارات الخير في الإنسان، بما إنّه يصدر عند فعل القبيح فهو مؤشر على وجود العقل والتفهم إذ إن العقل يردع عن فعل القبيح، فيلجأ العقل إلى هذه الحالة، أي حالة الشعور بالحياء، وعندها تسيطر حالة الحياء على الجسد تمنعه من فعل القبيح، فقد ورد عن رسول اللّه ﷺ: ((الحياء حياءان: حياءُ عقلٍ، وحياءُ حمقٍ: فحياءُ العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل))[١٥]، فبالعقل يُكتسب الدِّين والحياء، وبه يُطاع الله تعالى، فقد روى الأصبغ بن نباتة عن الإمام عليّ عليه السلام قال: ((هبط جبرائيل عليه السلام على آدم عليه السلام فقال له: يا آدم إنّي أُمرت أن أُخيّرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدِّين، فقال آدم: إنّي اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء والدِّين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنّا أُمرنا أن نكون مع العقل فكان، قال فشأنكما وعرج))[١٦].

- **الحياء عند بنت الشيخ الكبير مع نبي الله موسى** عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢٥)، ((وفي الكلام حذف، لان التقدير إن المرأتين عادتا إلى أبيهما وشكرتا فعله، فقال أبوهما لأحداهما ادعيه لي لأجزيه على فعله (فجاءتْ إحداهما تمشي على استحياء) قيل: معناه متسترة بكم درعها أو قميصها، فقالت له (إنّ أبي يدعوك)؛ ليُكَافئَك على ما سقيتَ لنا، وإنّ موسى مشى معها حتى وصل إليه))[١٧]،هذا النص القرآني مليء بالقيم الإنسانية، إذ دَوَنَه حالة شعورية راقية جدا بين شخصيتين قرآنيتن، وهما شخص نبي الله موسى عليه السلام وشخصية السيدة صفورا بنت الشيخ الكبير، وتسمى هذه الحالة الحياء، إذ ترسم قاعدة عامة للبشر في المجتمعات كافة ألا وهي حدود العلاقة بين

الرجل والمرأة الاجانب عن بعضهم، والحياء صفة تعمل على بناء إنسانيّة الإنسان ذكراً كان أم أنثى.

نجد في طيات هذا النص حياءين، حياء الأنثى متجسدٌ عند السيدة صفورا، فيصور القرآن الكريم هذا المشهد في غاية الدقة (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)، فأوصلتْ دعوة أبيها لنبي الله موسى عليه السلام، الذي كان غريبا بالنسبة لها آنذاك، فاختصرت كلامها واختارت ألفاظَها بدقةٍ عالية ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، فلازم الحياء الإبانة والدقة، والوضوح؛ لا التلجلج والتعثر والربكة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب، الذي يطمع ويُغري؛ إنما تتحدث بوضوح بالقدر المطلوب، ولا تزيد[١٨]، يتجسد الحياء في هذا الموقف عند السيد صفورا، عندما جاءت لنبي الله موسى عليه السلام، تخطو بخطوات مليئة بالحياء والعفة، ويظهر منها أنَّها تستحي من التَحدُّث مع شاب غريب[١٩]، وتنكير الاستحياء في النص القرآني جاء؛ للتفخيم، والمراد بعبارة (مشيها على استحياء) ظهور التعفف من مشيتها[٢٠]؛ مما يجعل لهذه الصفة في هذا المحل خصوصية أنثوية أكثر.

أما بالنسبة لحياء نبي الله موسى عليه السلام، فقد تجسد أثناء سيرهما معا وصولاً إلى أبيها، وفقاً لبعض الروايات، ((فإنَّ البِنْتَ كَانَتْ تَسيرُ أَمَامْ موسى؛ لتَدلَهُ عَلَىّ الطَرِيقَ، إلاَّ أَنّ الهَوْاءَ كَان يُحرِّكْ ثِيَابِهَا، وَرُبَّمَا انْكَشَفَ ثَوْبِهَا عَنْهَا، وَلَكِنّ مُوسى؛ لَمّا عِنْدَهُ مِنْ عِفَة، وَحَيَاء، طَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَمْشِي خَلْفَهُ، وأَنْ يَسير أَمَامهَا، فإِذَا مَا وَصَلاَ إِلى مُفْتَرَقْ طُرِقْ تَدُلَهُ، وَتُخبِرَهُ مِنْ أَيّ طَرِيقٌ يَمْضِي، إِلى دَارُ أَبِيهَا شُعَيَّبْ))[٢١]، نجد القرآن الكريم عرض الحياء وخصه بالأنثى والسنة الشريفة تعرضت لحياء الذكر؛ ذلك لشدة أهمية الحياء للأنثى فهو يرمز لشرفها وفضلها وعفتها.

مما تقدم تبين بأن الحياء من الإيمان ويتحصل الإيمان بالعقل، وبما إن الإنسان عاقل لابد له من الإيمان، ويشمل الأنثى والذكر إلا إنه له ميزة أنثوية أكبر؛ لذا أختص ذكره في النص القرآني بالأنثى، فالحياء هو الذي يرسم حدود العلاقة مع الرجل الأجنبي فهو خلق كريم يستحق الإشادة والذكر؛ لذا لابد للإنسان أن يتزين به، ولابد للمرأة بأن تقتدي بالسيدة صفورا فهي نموذج للفتاة الصالحة العفيفة، تتصف السيدة(صفورا) بجملة من الأخلاق

الأخرى، التي لم يذكر منها إلا الحياء.

- **الحياء عند السيدة مريم العذراء** عليها السلام في قوله تعالى ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (مريم ٢٢- ٢٧)،النصوص القرآنية اعلاه تحكي حال السيدة مريم حين حملها إلى أن وضعت كلمة الله تعالى عيسى عليه السلام، إذ إنها لما شعرت بحملها ابتعدت عن أهلها، وقالت قولها ((استحياءً من النّاس يا ليتني مُتُ قبل هذا وكُنتُ نسيا وشيئاً لا يعبأ به، منسياً لا يُذكّر، فلم يقعُ فيه النّاس كما سيقع النّاسُ في))[٢٢]، وجاء في مجمع البيان، بأنّها تمنت الموت حين ولادتها لعيسى عليه السلام كراهية؛ أنْ يُعصى الله تعالى فيها، وقيل استحياء من النّاس أنْ يظنّوا بها سوءاً عن سُدّى، ((وروي عن الإمام الصادق عليه السلام؛ لأنّها لم ترَ في قومها رشيداً ذا فراسة يُنزهها من السُوء))[٢٣]، فالسيدة مريم تمنت الموت لفرط حيائها؛ لذا تعد نموذجا قرآنيا لحياء الأنثى، ويعد هذا مؤشرا أخر على إن خلق الحياء للبشر عامة وللنساء خاصة.

ثالثا: بُعد الغيبة

تُعد الغيبة من ((آفات اللسان ومن الذنوب الكبيرة وهي ذكر الآخرين بما يسوؤهم في ظهر الغيب))[٢٤]، ويعرفها الشيرازي بأنها ((إظهار العيوب المستورة للشخص الآخر بحيث إذا يسمع بذلك تألم وتأثر منها))[٢٥]، وهنا نتعرض للغيبة؛ كونها السيئة التي فعلنها نسوة مصر في محافلهن حين كن يتحدثن بفعلة زليخا بحيث صرن يعيرنها بكونها سيدة وتتلهف لعبدها الذي ربته على يديها في قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف: ٣٠-٣٢)، تحكي الآيات اعلاه عن غيبة نسوة مصر لعزيزة مصر، بأنها سيدة وذات

مقام بينهن وذات جمال، وبما تتمتع به من الجاه والجمال والمكانة؛ إلا انها تعرض نفسها على نبي الله يوسف عليه السلام، وحين يصدها تفرض نفسها عليه شغفا وحبا، ((لما شاع الخبر في المدينة تدريجا وصارت النساء، وهن سيدات المدينة يتحدثن به في مجامعهن ومحافلهن فيما بينهن ويعيرن بذلك عزيزة مصر ويعبنها انها تولهت إلى فتاها وافتتنت به وقد أحاط بها حبا فظلت تراوده عن نفسه وضلت به ضلالا مبينا))[٢٦]، ولما سمعت بمكرهن ساءها ما سمعت منهن واخذت تعد لهن العدة؛ لكي تبرر فعلتها أمام النسوة وكذلك؛ لتريح ضميرها بأن ما فعلت هو الصواب وهي مستمرة في حبها إياه، فهي أحبت أن تبسط عذرها عندهن عندما سمعت بقولهن، و((بتَشنيعهُنَ عَلَيها والتَنقص لَهَا، والإشَارة إليّها بالعَيب والمَذمّة بحُب مَولَاهَا وعشقِ فَتَاهَا، فأظهرنّ ذَمّا وهي مَعذُورة في نَفس الأَمر؛ فلهذا أحبّت أنْ تُبسط عذرَهَا عندهُن، وتُبَين أنّ هذا الفَتىّ ليس كَما حَسبنَ، ولا من قَبيل مَا لدَيهُن))[٢٧].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ **اختلفت أقوال المفسرين الى:**

١- (مكرهن) أي تعييرهنَّ إياها وكان قصدهن إشاعة أمرها حتى تريهن يوسف عليه السلام، لما وِصفَ لهُن من حُسنِه، وبذلك فقد خالف ظاهِر الكَلام باطنَهُ فسُمي مَكراً[٢٨].

٢- إنها أظهرت لهن حبها إياه واستكتمتهن ذلك فأظهرنه؛ لذلك سمي مكراً[٢٩].

٣- أن (المكر) هنا يعني الحسد والبغي لما فيه فضيحتها وهتك سترها من ناحية رقيباتها[٣٠].

٤- المكر هو الحُب ((بقولهن ذهب الحب بها))[٣١].

٥- المكر هو الغيبة من نسوة مصر لزليخا[٣٢]، فكان ((تحديثهن بحديث الحب والمراودة مكرا منهن بالعزيزة وفيه بعض السلوة لنفوسهن والشفاء لغليل صدورهن ولما يرين يوسف ولا شاهدن منه ما شاهدته العزيزة فولها وهتك سترها))[٣٣]، هنا حديثهن يعد من السيئات ألا وهي الغيبة فالذنب الذي يفعله المرء يمكن أن يغفر بتوبة الانسان لله تعالى، أما السيئة لا تغفر إلا في عفو الانسان المعين عن الشخص المسيء له، وغيبتهن إياها كانت من أصل شفاء غيضهن عليها وحسد منهن لها؛ فالغيبة تأتي بعشرة أنواع، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((أصل الغيبة يتنوع بعشرة أنواع:

شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتُهمة، وتصديق خبر بلا مكاشفة، وسوء ظن، وحسد، وسُخرية، وتعجب وتَبرم، وتزيين))[٣٤]، ((وكان ذلك مكرا منهن بها على ما في طبع أكثر النساء من الحسد والعجب فان المرأة تغلبه العواطف الرقيقة والاحساسات اللطيفة وركوز لطف الخلقة جمال الطبيعة فيها مشعوفة القلب بالزينة والجمال متعلقة الفؤاد برسوم الدلال ويورث ذلك فيها وخاصة في الفتيات اعجابا بالنفس وحسدا للغير))[٣٥]، فاستعير المكر هنا للغيبة؛ لشبهها له في الاخفاء[٣٦]، وسبب تسميته مكرا كما يراه الطباطبائي، إذ قال: ((وتسمية هذا القول منهن مكرا بامرأة العزيز؛ لأنه صدر منهن حسدا وبغيا لغاية فضاحتها بين الناس، وقيل إنما كان قولهن مكرا؛ لأنهن جعلنه ذريعة إلى لقاء يوسف لما سمعن من حسنه البديع، فإنما قلن هذا القول؛ لتسمعه امرأة العزيز فترسل إليهن ليحضرن عندها فتريهن إياه؛ ليعذرنها فيما عذلنها له فيتخذن ذلك سبيلا إلى أن يراودنه عن نفسه هذا والوجه الأول أقرب إلى سياق الآيات))[٣٧]، فالوجه الاول الذي يقصده السيد هو حسد منهن وبغي عليها لفضحها وهتك سترها.

وفي الحالة التي كن عليها النسوة من الاتكاء والاكل قالت في قوله تعالى حكاية عنها(زليخا)، ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف:٣١)،أي((أنه لما خرج يوسف عليهن أعظمنه ودهشن وراعهن بين حسنه))[٣٨]، أما الاكبار الوارد في النّص القرآني عقب عليه السيد الطباطبائي بقوله: ((الإكبَار الإعظَام وهُو كنَايَة عَنْ اندهَاشهُنّ، وغَيبَتهُن عَنْ شعُورهُن، وإرادَتهُن بمُفَاجأة مُشَاهَدة ذاك الحُسْنَ الرائع طبقاً للنامُوس الكوني العَام، وهو خضُوعَ الصغير للكَبير، وقَهْرُ العَظيم للحقير، فإذا ظَهر العَظيم الكَبير بعَظَمته، وكبريَائهُ لشعُور الإنسان قَهر سَائر مَا في ذهنه منَ المَقَاصد والأفكار فأنسَاهَا، وصَار يتَخبط في أعمَاله؛ ولذلك لَمّا رأينَهُ قَهرَتْ رُؤيته شعُورهُن))[٣٩]، وفي هذه الحالة من الاندهاش بسطت عذرها في قوله تعالى حكاية عنها ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف:٣٢)، فهنا هَمُ زليخا هو طرح مُبررها للنسوة والتخلص من لومهُن وانتقادهُن لها، ويشتَغلَن عنها بأنفسهُن فتتخلَص منْ لسَانهُن وتأمَن مَكرهُن، وهى لا تُبَالي

بافتتَانَهُن بيوسف عليه السلام، فلَا تَخَاف عَليه منهُن؛ لأنّها ((تَزعُم مَولاته، وصَاحبَتُهُ، ومَالكَة أمره، وهو فَتَاهَا المَخصُوص بهَا، وَهِي تَعلَم أنّ يوسف عليه السلام ليس بالّذي يَرغَبُ فيهُن، أو يَصبُو إليهُن، وهو لاَ يَنقَاد لَهَا، فيمَا تُرِيدُه منهُ بّما عندُه منَ الاستعصَام، والاعتزاز عَنْ هَذه الأهوَاء، والأميَال))[٤٠]، فهي هنا أبدعت و((الإبداع جاء في اللغة على إنه: (اختراع الشيء وإيجاده من اللاشيء أي لم يسبقه أحد بهذا، فهو عبارة عن عدم النظير))[٤١]، أما في الاصطلاح: بأنه ((الوحدة المتكاملة لمجموعة عوامل ذاتية وموضوعية تؤدي الي تحقيق إنتاج يتصف بالجدة والأصالة، والقيمة من قبل فرد أو جماعة))[٤٢]، أو هو((استنباط فكرة جديدة بالنسبة لك))[٤٣]، وهذا ما نجده في سلوك زليخا تجاه نسوة مصر بقصد بيان إن ما فعلت هو الصواب وهي مصرة حتى تأخذ حاجتها منه عليه السلام.

مما تقدم يتضح للبحث بأن عزيزة مصر (زليخا) تتمتع بالذكاء حيث استعملت ذكائها في رد مكر نسوة مصر عنها، إذ كان تفكيرها وتخطيطها الكامن في اعداد المتكئ واعطاء السكاكين للنسوة وأمر يوسف عليه السلام بالخروج عليهن مما أدى إلى تقطيع أيديهن بالسكاكين بغير وعي وانتباه منهن على جروحهن، كل هذه الخطة وما نتج عنه من أحداث من دهشه وجروح في أيد النسوة هي مبررات اعتمدتها؛ لحصولها على التأييد والمساندة لها من النسوة، بأن عاطفتها نحوه عليه السلام فعل صائب وإن كان خطيئة في نظرهن ونظر الانسان السوي، غير مبالية لهن إن كن فعلن مع يوسف ما فعلت؛ لاطمئنانها منه بأنه أن نسان لا تغره الغرائر ولا يفعل الخطيئة.

الخاتمة:ـ

١- اختيار اسم مريم من قبل والدتها فيه إشارة إلى ثقافتها؛ كون هذا الاسم يدل على العبودية؛ لأن معناه العابدة واستحباب تسمي الأولاد بأسماء العبودية تظهر خضوع واستسلام الانسان لله تعالى، كما إنها تؤثر على شخصية تأثير ايجابي، وهذا ما نوه به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الكرام البررة عليهم السلام.

٢- الحياء من الإيمان ويتحصل الإيمان بالعقل، وبما إن الإنسان عاقل لابد له من الإيمان، ويشمل الأنثى والذكر إلا إنه له ميزة أنثوية أكبر؛ لذا أختص ذكره في النص القرآني بالأنثى، فالحياء هو الذي يرسم حدود العلاقة مع الرجل الأجنبي فهو خلق

كريم يستحق الإشادة والذكر؛ لذا لابد للإنسان أن يتزين به، ولابد للمرأة بأن تقتدي بالسيدة صفورا فهي نموذج للفتاة الصالحة العفيفة.

٣- أن عزيزة مصر (زليخا) تتمتع بالذكاء حيث استعملت ذكائها في رد مكر نسوة مصر عنها، إذ كان تفكيرها وتخطيطها؛ لحصولها على التأييد والمساندة لها من النسوة، بأن عاطفتها نحوه عليه السلام فعل صائب وإن كان خطيئة في نظرهن ونظر الانسان السوي.

هوامش البحث

(1) https://www.independentarabia.com.

(٢) تفسير من وحي القرآن،محمد حسين فضل الله: ١٥٠/٢١.

(٣) الكافي، الكليني:١٤/٦.

(٤) تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون: المبحث ٢٥٩، ٦٦٤.

(٥) الكافي،الكليني:١٣/٦.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب،٢٨/٨.

(٧) ظ: تفسير الامثل، الشيرازي:٤٨٠/٢.

(٨) ظ: الميزان،الطباطبائي:٩٦/٣،مفاتح الغيب،الرازي:١٨٦/٤،روح المعاني،الالوسي:١٣/٣،كنز الدقائق، محمد المشهدي:٧٠/٣.

(٩) الميزان،الطباطبائي:٩٦/٣-٩٧.

(10) https://www.independentarabia.com

(١١) ظ: الميزان،الطباطبائي:٩٦/٣

(١٢) الكشاف، الزمخشري:٢٧٠/١

(١٣) الكافي، الكليني:١٣/٦.

(١٤) الميزان،الطباطبائي:٩٧/٣.

(١٥) تزكية النفس،الحائري:٣٣٠/١

(١٦) الكافي، الكليني:١١/١.

(١٧) التبيان، الطوسي:١٣١/٨.
(١٨) ظ: في ظلال القرآن، سيد قطب:٧٦.
(١٩) ظ: تفسير الأمثل، الشيرازي:٢١١/١٢.
(٢٠) ظ:الميزان، الطباطبائي:١٣/١٦.
(٢١) تفسير الأمثل، الشيرازي:٢١١/١٢.
(٢٢) تفسير الميزان، الطباطبائي:٣٥/١٤-٣٦.
(٢٣) ظ: مجمع البيان،الطبرسي:٤١٦/٦-٤١٩،ظ: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية:٥/ ١٧٦-١٧٨.
(٢٤) البداية في الأخلاق العملية، محمد رضا مهدوي كني:٩٧، النصيحة الكافية، الزروق: ١٠.
(٢٥) الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي ٨٥/٣.
(٢٦) تفسير الميزان، الطباطبائي:١٤٤/١١.
(٢٧) قصص الأنبياء:٣٢٣/١
(٢٨) ظ: التبيان، الشيخ الطوسي:١٢٩/٦، ظ: تفسير القرآن الكريم، السيد عبد الله شبر: ٢٤٢.
(٢٩) ظ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١٠٥/٣؛ ظ: مجمع البيان، الطبرسي:٣٥٢/٥.
(٣٠) ظ: الميزان، الطباطبائي:١٢٦/١١.
(٣١) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير:٤٩٣/٢.
(٣٢) ظ: التفسير الصافي: ١٦/٣، ظ: تفسير الكشاف، الزمخشري:٥١٣ ظ: التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي: ٤١٤/١.
(٣٣) تفسير الميزان، الطباطبائي:١١ / ١٤٥.
(٣٤) مستدرك الوسائل، المحقق حسين النوري: ١١٨/٩.
(٣٥) تفسير الميزان، الطباطبائي: ١١ / ١٤٥
(٣٦) ظ: روح المعاني ،الالوسي: ٢٢٦/١٢.
(٣٧) تفسير الميزان،الطباطبائي:١١ / ١٤٥.
(٣٨) ظ: فتح القدير، الشوكاني:٢١/٣-٢٢.
(٣٩) تفسير الميزان، الطباطبائي:١٤٩/١١..
(٤٠) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١١ /١٤٥
(٤١) ظ: التعريفات، الجرجاني:١٠.
(٤٢) ظ: تنمية الابداع في مراحل الطفولة المختلفة، مجدي حبيب:١٥.
(٤٣) ظ:الابداع في العمل دليل عملي للتفكير الإبداعي، كارول جومان:١٧.

قائمة المصادر

- الابداع في العمل دليل عملي للتفكير الإبداعي، كارول جومان، ترجمة: باهر عبد الهادي، دار المعرفة للتنمية البشرية، مؤسسة الريان،(السعودية- الرياض)، ط١، (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م).
- الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، (ايران- قم)، ط٢،(١٤٣٦هـ).
- اصول الكافي، الكليني:أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت -لبنان)،ط١(٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ).
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة: سليمان زاده، الناشر: مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ايران- قم، تأريخ النشر: ١٣٨٤هـ.
- البداية في الأخلاق العملية، محمد رضا مهدوي كني، دار الهادي، (بيروت -لبنان)، ط١،(٢٠٠٢م).
- التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: أبو جعفر، محمد بن الحسن، (ت: ٤٦٠هـ)، تح: احمد حبيب القصير، مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.
- تزكية النفس، الحائري: كاظم الحسيني الحائري، دار البشير، قم المقدسة ط٥،(١٤٣٠هـ).
- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، محمد بن احمد الكلبي، (ت: ٧٤١هـ)، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ.
- تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، مكتب الاعلام الاسلامي،ط٢(١٤٠٨هـ).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ ، ط١.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: محمد محسن رضي الدين شاه مرتضى الاول، (ت: ١٠٩١هـ)، تح: حسين الاعلمي، مؤسسة الهادي، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، قدم له الدكتور يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- تفسير القرآن الكريم، السيد عبد الله شبر(ت١٢٤٢هـ)، شركة مكتبة الألفين، ط١(١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م، بيروت- لبنان.

- تفسير كنز الدقائق، محمد المشهدي (ت: ١١٢٤هـ)، تحقيق: الحاج آغا مجتبى العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ.
- تفسير من وحي القران، محمد حسين فضل الله، بلا تح، دار الملاك، بيروت، ط١٤٢٨:٣هـ - ٢٠٠٧م.
- تنمية الابداع في مراحل الطفولة المختلفة، مجدي عبد الكريم حبيب، دار الفكر العربي، بيروت، (د. ط)، (د.ت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي،(ت: ١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١،(١٤١٧هـ -١٩٩٧م).
- فتح القدير، الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ -٢٠٠٠م)، دار ابن حزم، (بيروت - لبنان).
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط ١٧، (١٤١٢هـ).
- قصص الأنبياء، ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، تح: الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الاسلامية،ط٥،(١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري: أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر الخوارزمي،(ت:٥٣٨هـ):، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي: أبو منصور، احمد بن علي بن ابي طالب،(ت: ٥٤٨هـ)، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١،١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- مجمع البيان في تفسير القران، الطبرسي: أبو منصور، احمد بن علي بن ابي طالب،(ت: ٥٤٨هـ)، تح: لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١٤١٥،١هـ - ١٩٩٥م.
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبرسي: ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث الإسلامي ، بيروت ، ط٢،(١٩٩٨م).
- معاني القران واعرابه، الزاهر، ابراهيم الزجاج (ت٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- مفاتيح الغيب، أو(التفسير الكبير)،الرازي: فخر الدين الرازي الشافعي ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط:٣.
- الميزان في تفسير القران، الطباطبائي: محمد حسين، (ت: ١٤٠٢هـ):، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، (د.ت).
- النصيحة الكافية، أحمد الزروق، (د. ط)،(د.ت).
- https://www.independentarabia.com